مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

# التقدير نصف الشهري

## تحليل للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

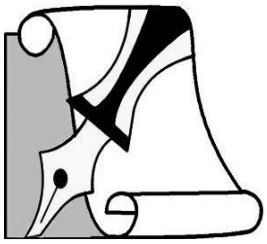

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

# تحليل نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

---

## أهداف المركز الرئيسية:

1 إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

2 الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

3 بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

4 إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

# بحث بعنوان: ليلة العَصْف الصاروخي الإيراني فوق الكيان الغاصب

## 1 – مدخل:

بعد مضيّ أسبوعين على العدوان الذي نَفّذته "إسرائيل" ضدّ القنصلية الإيرانية في دمشق، وفي أعْقاب التكهّنات الكثيرة حول طبيعة ردّ الجمهورية الإسلامية، نَفّذت إيران في نهاية المطاف عملية «الوعد الصادق»، التي أطْلقت خلالها عشرات المُسيّرات والصواريخ من أراضيها في اتّجاه كيان الاحتلال، في ما عُدّ حدثاً غير مسبوق، من شأنه أن يُدشّن فصلاً جديداً من المواجهة بين الجانبَين، وأن يؤسّس لمعادلات أمنية واستراتيجية مختلفة في المنطقة، خلاصتها أنّ الردع الإسرائيلي الذي تَحَطّم في غزة ولبنان، تَحَطّم في طهران أيضاً. ففي أعقاب هذه العملية ، أعْلن «الحرس الثوري» الإيراني، الذي استشهد سبعة من أفراده، بمَنْ فيهم أحد كبار قياديّي «فيلق القدس»، الشهيد محمد رضا زاهدي، في الهجوم الإسرائيلي على القنصلية الإيرانية بدمشق، في بيان، أنه «ردّاً على الجرائم العديدة للكيان الصهيوني، بما فيها مُهاجمة القسم القنصلي للسفارة الإيرانية في دمشق، واستشهاد عدد من القادة والمستشارين العسكريين الإيرانيين في سوريا، ضَرَبت قوّة الجو – فضاء التابعة للحرس الثوري، أهدافاً مُحدّدة داخل الأراضي المحتلّة بعشرات الصواريخ والمُسيّرات». وأوضح البيان أن «العملية تَمّت بموافقة المجلس الأعلى للأمن القومي، وتحت إشراف الأركان العامة للقوات المُسلّحة، وبإسْناد رجال الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ومساندة وزارة الدفاع وإسناد القوّات المُسلّحة."

وفي هذا الجانب، ذكرت صحيفة «نيويورك تايمز» نَقْلاً عن مسؤولين إسرائيليين، قولهم إن إيران أَطْلقت 185 طائرة من دون طيّار و36 صاروخ كروز و110 صواريخ أرض – أرض، فيما ادّعى الناطق باسم الجيش الإسرائيلي، دانييل هاغاري، أنه تم اعتراض 99% من الصواريخ والطائرات المُسيّرة الـ300 التي أطْلقتها إيران. لكنّ مَقاطع مُصوّرة تداولتها وسائل إعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، أَظْهرت سقوط صواريخ باليستية إيرانية على أهداف عسكرية في النقب، وإصابتها قاعدة جويّة إسرائيلية. وأكّدت وكالة «إرنا» الايرانية نجاح استهداف القاعدة بصواريخ «خيبر»، فيما أفاد تقرير للوكالة بأن الصواريخ طاولت العديد من الأهداف، ومن ضمْنها

قاعدة «نيفاطيم» الجويّة الواقعة جنوبي الأراضي المحتلّة، في منطقة صحراء النقب بالقرب من مدينة بئر السبع، والتي يبلغ طول مَدْرجها 3400 متر، وتُعدّ الحظيرة والقاعدة الرئيسة لطائرات «إف-35» الإسرائيلية. كذلك، أفاد التلفزيون الرسمي الإيراني بأن نصف الصواريخ التي تمّ إطلاقها أصابت أهدافاً إسرائيلية «بنجاح». وتابع أن «حرس الثورة» استخدم صواريخ باليستية من طراز «عماد» وصواريخ «كروز» ومُسيّرات «شاهد 136.«

ويبدو أن إيران أرادت، في ضوء توسيع نطاق هجماتها في هذه المرحلة، أن يَتَلقّى الطرف الآخر رسالة الردع. واستُبق الهجوم باحتجاز سفينة شحن «مُرْتبطة بإسرائيل» في مضيق هرمز، علماً أن السفينة «إم إس سي أريس» كانت تَرْفع عَلَم البرتغال ومُستأجرة لشركة «زودياك» الدولية لخدمات الملاحة البحرية التابعة لمجموعة «عوفر غلوبال»، المملوكة لرجل الأعمال الإسرائيلي، إيال عوفر.

بعد ساعات من العمل العسكري الإيراني، قالت بعثة إيران لدى الأمم المتحدة، في بيان، إن هذا الإجراء «نُفّذ وفقاً للمادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة في ما يخصّ الدفاع المشروع»، مؤكّدةً أنه جاء «ردّاً على اعتداءات الكيان الصهيوني على المواقع الدبلوماسية الإيرانية في دمشق». وفيما قالت البعثة إنه «يُمكن اعتبار القضية مُنتهية»، شَدّدت على أنه «إذا ارْتكب الكيان الإسرائيلي خطأً آخر، فإن الردّ الإيراني سيكون أشدّ وأعنف بشكل لافت. إن هذا الصراع، هو بين إيران والكيان الإسرائيلي المُتمرّد، ويَتعيّن على أميركا أن تَنْأى بنفسها عنه.«

وفي سياق متّصل، أكّد رئيس هيئة الأركان الإيرانية، اللواء محمد باقري، أن «هجومنا أدّى إلى تدمير موقعَين عسكريَّين إسرائيليَّين مهمَّين». كما هَدّد القائد العام لـ "الحرس الثوري" الإيراني، اللواء حسين سلامي، بأنه «إذا قام الكيان الصهيوني بأيّ ردّ فعل، فمن المؤكد أن ردّ إيران سيكون أصعب». وأكّد القائد العام للجيش الإيراني، اللواء عبد الرحيم موسوي، أن «إصرار الكيان الصهيوني على مواصلة اعتداءاته هذه المرّة، سيواجَه بعقاب أشدّ.« والواقع أن الهجمات الإيرانية بالصواريخ والمُسيّرات على "إسرائيل"، تعني عمليّاً الانسحاب من سياسة «الصبر الاستراتيجي»، وهو ما يعني دخول المواجهة بين إيران و"إسرائيل" في مرحلة جديدة، وتأسيسها لمعادلات مختلفة.

في المَقْلب الآخر، ومنذ الساعات الأولى للهجمات الإيرانية، أعْلَنت السلطات الإسرائيلية أنها «سترَدّ عليها ردّاً حاسماً وقويّاً». ومع ذلك، فإن أمام "إسرائيل" التي تخوض الآن حرباً في غزة، وصراعاً مع «حزب الله» في لبنان، خيارات شائكة وعصيبة، إزاء الهجمات الإيرانية؛ إذ في حال أقْدمت على عملٍ ما ضدّ طهران، قد تُواجَه

بردّ أوسع نطاقاً تُنفّذه الأخيرة وباقي أجزاء محور المقاومة؛ وإنْ لم تقم بعملٍ ما ضدّ إيران، فإنّ قُوّتها العسكرية وقُدرتها على الردع، ستكون موضع شك، كما حصل في هجوم السابع من أكتوبر. وفي هذه الأثناء، يبدو من مواقف المسؤولين الأميركيين أنه، وعلى الرغم من إعلان الولايات المتحدة أنها تدعم إسرائيل، إلّا أنها لا تُوافق على هجوم عسكري مُضاد من جانبها على إيران، ولن تُشارك فيه. وفي هذا السياق، قال مسؤول كبير في الإدارة الأميركية لشبكة «سي إن إن»، إن الرئيس الأميركي، جو بايدن، أوضح لرئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، أن الولايات المتحدة لن تُشارك في أيّ هجوم ضدّ إيران. كما نَقَلت شبكة «إن بي سي نيوز» الأميركية عن مصادر مُطّلعة (لم تُسَمّها)، قولها إن «بايدن أعْرَب سرّاً عن قَلَقه من أن نتنياهو يُحاول جرّ واشنطن إلى صراع أوسع».

وعلى الرغم من أن وزير الدفاع الأميركي، لويد أوستن، دانَ الهجمات الإيرانية على "إسرائيل"، إلّا أنه أكّد أيضاً أن أميركا لا تسعى إلى الحرب مع إيران، لكنها لن تَتَرَدّد في التحرّك لحماية قوّاتها ودعم الدولة العبرية. ورأى العديد من المُراقبين ومُحلّلي الشؤون العسكرية، أنه إذا لم تُشارك الولايات المتحدة، فسيكون من الصعب أن تتمكّن "إسرائيل" من الدخول في حرب واسعة النطاق مع محور المقاومة لوحدها.

**2 – نهاية الصبر الاستراتيجي:**

لقد وَضَعت العملية الإيرانية الجريئة حداً للحرب الباردة المُتواصلة منذ 45 عاماً بين طهران وتل أبيب، وفَرَضت معادلة ردع جديدة ستَجْعل مرحلة ما بعد فجر 14 أبريل/نيسان 2024 مختلفة تماماً عمّا قبلها. وهذا ما أثْبتَته عشرات الصواريخ البالستية وصواريخ كروز ومئات المُسيّرات التي انطلقت من الجمهورية الإسلامية، مُتّجهة نحو الكيان الصهيوني، ومُحقّقةً الأهداف المرسومة لعملية الردّ على استهداف القنصلية الإيرانية في دمشق، وراسمةً معالم مرحلة جديدة في حدث تاريخي كبير، ومُنْجزة بموازاة إصابة الأهداف نتائج وتداعيات مختلفة على الكيان، وأبْرزها إسقاط كلّ نظريات الردع والجدران الحديدية التي صَدَع رؤوس العالم بها عبر تاريخ وجوده غير الشرعي. فقد أظْهَرت الهجمات فعالية الصواريخ والمُسيّرات الإيرانية الصنع وتطوّرها، رغم كلّ القدرات والتكنولوجيات الإسرائيلية والغربية، فَضَرَبت الصواريخ والمُسيّرات التابعة للحرس الثوري أهدافها المُحدّدة بدقّة، وهي قواعد رئيسة في فلسطين المحتلة ومركزاً استخباراتياً مهمًا في الجولان السوري المحتل. ومن الأهداف أيضاً

قاعدة نيفاطيم الجوية ومطار رامون العسكري جنوب الأراضي المحتلة. ونَقَلت "قناة كان" العبرية عن مسؤول كبير في وزارة الحرب الصهيونية قوله إنّ "الهجوم الإيراني كان من أحد أعْقَد الهجمات التي يواجهها نظام الدفاع الجوي في العالم؛ ولقد نَفّذت إيران هجوماً بمستوىً أعلى ممّا كنّا نتوقّع". وبتعبير آخر، فَرَضت ايران معادلات جديدة وخطوطاً حمراً غير مسبوقة في الرد على أي تمادٍ صهيوني؛ وهي أثْبتت قُدرتها واستعدادها لتنفيذ ما هو أكبر وأقسى ممّا حصل، وللتصعيد إذا ما ردّ الكيان الغاصب على هذه الهجمات؛ وكذلك لتهديد المصالح الأميركية إذا ساعدت واشنطن في الردّ الصهيوني. كما أنها أظْهرت صورة مُرتبكة غير مسبوقة للكيان، حيث كانت الصواريخ والمُسيّرات تَسْرح في سماء فلسطين المحتلة كلّها؛ وهذا يَكْشف هشاشة الكيان وضعفه وعجزه عن التصدي لهجوم مُحدّد ومحدود؛ فكيف إذا كان الهجوم واسع النطاق، وبكميّات أضخم من الصواريخ والمُسيّرات، تَطال أهدافاً اقتصادية وحيوية.

وباختصار، يمكن القول إن التطوّر العسكري الإيراني قد أدْخَل تغييراً دراماتيكياً على السيْر المعتاد للأمور في المنطقة، وهو دخول قوّة إقليمية كبرى كإيران على خط الصدام المباشر مع كيان الاحتلال، وفي سياق استراتيجي دولي، استوجب استنفاراً عاماً لمحور الشرّ الغربي الجماعي بأكمله لمساندة الكيان. ولم تَقْتصر هذه المشاركة على الجيش الأميركي، بل شَمَلت أيضاً، بحسب المعلومات الصادرة عن الجيش الصهيوني ومسؤولين غربيين، الجيشين الفرنسي والبريطاني وآخرين. وبكلام آخر، قرّرت طهران تحدّي الإجماع الاستراتيجي الغربي القاضي بـ «حماية» الدور الوظيفي للكيان، باعتباره العصا الغليظة للغرب الجماعي، ووجّهت لَكْمة موجِعة إليه، ودشّنت عبر ذلك مرحلة جديدة في مسار المواجهة الاستراتيجية المديدة معه ومع كافليه.

لقد تَمتّع الكيان الصهيوني المتوحّش طوال تاريخه برعاية ومساندة أميركية وغربية استثنائيتين، إلى درجة اعتقاد البعض بـ«حُرْمة» المساس به وبمواقع عسكرية تقع في عمق الأراضي المحتلة في عام 1948. وبالتالي، فإنّ «انْتهاك» حركة «حماس» لهذه «الحُرمة» كان مُبرّراً كافياً بالنسبة لقادة الغرب الجماعي وأذنابهم في المنطقة والعالم، لكي يُسوّغوا لأنفسهم شن حرب إبادة جماعيّة مكشوفة ضد الشعب الفلسطيني الشريف والمُقاوم في غزة. كما ضَرَبت إيران أيضاً بتلك «الحُرْمة» المزعومة عَرْض الحائط، ممّا يزيد من أهمية البعد الاستراتيجي والثقافي والمعنوي للردّ الإيراني، نتيجةً لعملية بناء وتطوير القدرات العسكرية والصاروخية لقوى محور المقاومة، وفي القَلْب منها إيران.

والكلام الأكثر جديّة إزاء ما حصل، صَدَر من داخل الكيان المؤقت نفسه، وبشكل خاص من الذين يطرحون السؤال الوجيه الآتي: ماذا كنّا لِنفعل لولا المساهمة النشطة والمُكثّفة الأميركية والبريطانية والفرنسية، في إسقاط المُسيّرات والصواريخ الإيرانية؟ ومُجرّد طَرْح هذا السؤال المصيري المهم، ومن داخل "إسرائيل"، يَشي بأن الاقتناع بالتفوّق العسكري النوعي للكيان على محيطه، وقُدرته على القيام بدور وظيفي تأديبي في إطار الاستراتيجية العامة الغربية لتَثْبيت هذه السيطرة على منطقة "الشرق الاوسط"، لم يَعُد محطّ إجماع فعلي. وقد أظهرت العملية الإيرانية، ومن قَبْل عملية «طوفان الأقصى» البطولية، فشل الجيش الصهيوني وعجزه لوحده عن تحقيق أهداف حربه على غزة، بعد سبعة أشهر من الإجرام والتوحّش. وهذا كلّه يَفْضح نتنياهو ويكشفه كرجل مضطرب ومهووس بالعنف ومنفصل عن الواقع، أو كدَجّال مَغرور، وسياسي يائس يُحاول كَسْب الوقت عبر الاغتيالات وتصعيد الحروب واسترضاء شركائه المُتهوّرين في الداخل والخارج.

جاء في تصريحات نَقَلتها صحيفة "يديعوت أحرونوت" قولٌ لوزير الثقافة ميكي زوهار، إنه "يجب الردّ على الهجوم الإيراني بطريقة قويّة"، مُضيفاً أن "الردّ الضعيف على هذا العدوان غير المسبوق هو استمرار للمفهوم الذي عفا عليه الزمن، منطق العقلانية والتعقّل في مواجهة إرهابيين متوحّشين"، على حدّ تعبيره. وأضاف: "لقد فشلت (إسرائيل) ضدّ حماس وحصلنا على 7 أكتوبر، وفشلت ضدّ حزب الله الذي يُهاجمنا باستمرار واستطاع إجلاء سكّان الشمال؛ وستفْشل ضدّ إيران التي لم تتردّد في مُهاجمة إسرائيل مباشرة".

لقد وصَف مؤسّس الحركة الصهيونية تيودور هرتسل "إسرائيل"، في كتابه «دولة اليهود»، بأنها " قلْعة أوروبا في مواجهة آسيا البربرية"، وذلك في مَعْرض تسويقه لها كحارس لمصالح الغرب لدى قادته آنذاك؛ لكنها باتت الآن تحتاج إلى حراسة غربية على مدار الساعة. وقد بَرَزت مواقف متناقضة عن واشنطن حيال ما سيقوم به الكيان الصهيوني بعد اللّكمة التي تَلقّاها. وتَنْسب وسائل إعلام أميركية وغربية إلى الرئيس الأميركي إبلاغه رئيس الوزراء الصهيوني، نتنياهو، مُعارضته لأيّ هجوم على إيران. لكن مُنسّق مجلس الأمن القومي للاتصالات الاستراتيجية، جون كيربي، قال إنّ «الأمر متروك للإسرائيليين ليُقرّروا ما إذا كانوا سيَردّون، وكيف سيَردّون»، بعكس ما قاله رئيسه. وكثيراً ما اعتمد الأميركيون سياسات يُطْلقون عليها تسمية «الغموض البنّاء»، لكونها تَسمح لهم، في ظروف مُعقّدة، ببلوغ أهدافهم. والأكيد هو أن التناقض المُشار إليه لا يُمكن إدْراجه ضمن «الغموض البنّاء»؛ بل هو كفيل بتسهيل مُباشرة صديقهم نتنياهو بعدوان جديد يُشْعل حريقاً سيأتي على الأخضر

والیابس في المنطقة؛ ومن المُحتمل أن يمتدّ إلى خارجها. وبالتالي عليهم التَمعّن جيّداً في الكلام الصادر من طهران عن مُساعد الرئيس الإيراني للشؤون السياسية، والذي جَزَم فيه أنّ «الردّ الذي نَفّذته إيران يعني تَغيّر المعادلة وانتهاء عصر الصبر الاستراتيجي».

**3 – مغالطات إسرائيلية:**

لقد حاولت أوساط في الكيان المؤقت تزوير الحقائق الميدانية بالقول إن الكيان حَقّق نجاحاً في إسقاط جميع الطائرات المُسيّرة والعدد الأكبر من الصواريخ الإيرانية، من أجل تَثْبيط العزائم والإشارة إلى محدودية القدرات الإيرانية. وتحدّثت هذه الأوساط عن استعادة الكيان لزخم الدعم الغربي، وإعادة تشكيل المشهد لصالحه، بصَرْف النظر عن الجرائم الإسرائيلية الوحشية في قطاع غزة، وذلك بتصوير "إسرائيل" من جديد كدولة صغيرة مُحاصَرة تُدافع عن نفسها من الأعداء "الأشرار" المُحيطين بها. لكن هذا التصوير الإسرائيلي لِما حَدَث فيه قدر كبير جداً من المُغالطة والنفاق، ويهدف إلى إعادة صنع الوعي الإسرائيلي الداخلي والإقليمي بطريقة ترفع من أهمية القدرات الردعية والعسكرية الإسرائيلية المفقودة.

إيران، من جهتها، أرادت توجيه ضربة مُركّبة لا عسكريًّا فحسب، ولكن سياسيًّا أيضاً؛ بمعنى أنها أرادت توجيه ضربة تَحْظى بزخم إعلامي كبير، حتى لو مع تحقيق أهداف عسكرية محدودة، من دون أن تؤدّي لجرّها الى حرب شاملة كما يريد نتنياهو ومُناصروه من المعسكر الشوفيني المتطرف. وبتعبيرٍ آخر، أرادت إيران توجيه ضربة مدروسة، والقيام بمناورة غاية في الحَذَر لصياغة موقف ردعي جديد، لا يتطوّر إلى حرب، ولا يُعرّض عُمْقها ومصالحها الاستراتيجية داخل الأراضي الإيرانية لاستهداف أميركي أو إسرائيلي. كما أنها قصدت مُتعمّدة عدم استخدام عنصر المفاجأة، لأنها أرادت أن تكون الضربة محدودة، تَسْحب من الإسرائيلي ذريعة ردّ أوسع، وتوفّر للأميركي فرصة إقناع الإسرائيلي بعدم الردّ السريع والمكشوف على العمق الإيراني، مع إصابة عدد محدود من الأهداف العسكرية في النقب والجولان بعيداً عن التجمّعات الحَضَرية الإسرائيلية؛ فالضربة الإيرانية بالتالي كانت مُركّبة عسكريًّا وسياسيًّا. وبقدر ما تَحدّث الكيان عن نجاحه في إسقاط المقذوفات الإيرانية، فإنه نجاح مشروط ومرهون بطبقات الحماية الغربية وبعض العربية المُحيطة به. والمناورة الهجومية الإيرانية خدمت طهران عسكرياً، من ناحية استطلاعها للقدرات الدفاعية لـ"إسرائيل" وحلفائها وكيفيّة عملها في المستقبل.

**4 – التداعيات إسرائيلياً:**

أجْمَعت التحليلات والتقديرات الإسرائيلية على أنّ الهجوم الإيراني بالمُسيّرات والصواريخ البالستية على العمق الإسرائيلي، يجب أن يُشعل الضوء الأحمر بوجه مُتّخذي القرارات بالمؤسسة الأمنية الإسرائيلية، وذلك على الرغم ممّا وصفوه بـ"الإنجاز المُثير للإعجاب" الذي حقّقه النظام الدفاعي الإسرائيلي، بالتعاون مع أميركا وحلفائها. واتّفقت التحليلات الإسرائيلية على أن إيران تَخَطّت وكَسَرت حاجز الخوف، وأقْدَمت على مهاجمة "إسرائيل" من الأراضي الإيرانية لأوّل مرّة منذ الثورة الإسلامية؛ وهذا يعكس انهيار الردع الإسرائيلي، وتَجرّؤ طهران على تَحدّي تل أبيب وإدخالها في حالة طوارئ وحرب نفسية ومُجتمعية. وعلى الرغم من سقوط الردع الإسرائيلي، فإنّ قراءات للمُحلّلين الإسرائيليين تُشير إلى أنّ الهجوم الإيراني غير المسبوق، واعتراضه من قِبل المنظومات الدفاعية الإسرائيلية، بالتعاون مع أميركا ودول إقليمية، يَعْكس "نجاحاً عملياتياً"، حيث يُمكن أن يُشكّل فرصة لتشكيل تحالف أميركي – إسرائيلي – عربي ضدّ إيران.

وبالمقابل، كتب مُحرّر غرفة الأخبار في موقع "والا"، أرييل شميدبرغ، مقالًا وَجّهَ من خلاله انتقادات شديدة اللهجة إلى أداء نتنياهو في التعامل مع التهديد الإيراني، قائلًا: "رغم إنْجاز المنظومة الدفاعية، بَيْد أن إيران نَجَحت في إرباكنا على مدار أسبوعين وقصف العمق الإسرائيلي." ومن ناحية أخرى، يقول شميدبرغ: "هناك أيضاً فشل ذريع فيما يتعلق بقُدرة إسرائيل والولايات المتحدة على خلق ردع ضدّ إيران التي أظهرت قوّة هائلة وشجاعة غير مسبوقة؛ وهذا دليل على انهيار ميزان الرعب. كما أن ميزان الرعب ضدّ حزب الله في لبنان لم يكن متوازناً تماماً، وهو ما تخشاه إسرائيل." وأوصى كاتب المقال النخب الإسرائيلية بالانتظار وتأجيل صَيْحات الفرح واحتفالات النصر، قائلًا: "لم نَفُز بعد. ما زالت إسرائيل بعيدة عن تحقيق الأهداف والفوز، ويشهد على ذلك أهالي المُختطفين، وعشرات الآلاف من سكّان الشمال والجنوب الذين ما يزالون مُهجّرين من منازلهم ويَتنقّلون كلاجئين في بلادهم منذ 6 أشهر."

في الجانب العسكري تحديداً، وقبل حصول الردّ الإسرائيلي المحدود والمُثير للسخرية باستهداف أصفهان، أعْرب المُحلّل العسكري، أمير بوحبوط، عن اعتقاده أن إسرائيل تُواجه مُعضلة خيار "احتواء الهجوم أم الردّ بهجوم مضاد في إيران، والمُجازفة بالتصعيد وجرّ المنطقة لحرب إقليمية؟." ونتيجة لذلك، بحسب رأيه "سيُطْلب من

كبار المسؤولين في هيئة الأركان العامة للجيش الإسرائيلي تقييم ردود إيران المُحتملة. كما سيَتعيّن عليهم تلقّي سلسلة من التوصيات عمّا إذا كان سيتم الردّ بقوّة وتحصيل ثمن من القواعد العسكرية للحرس الثوري الإيراني ومواقعه، أو اختيار اغتيال أفراد الأمن الإيرانيين." ورأى بوحبوط أنه سوف يكون لزاماً على قادة هيئة الأركان أيضاً أن يُفكّروا فيما إذا كانوا سيكتفون بعملية محدودة، بحيث يقوم طيّارو القوات الإسرائيلية الجويّة بمهمّة على مسافة 1500 كيلومتر، لضَرْب هدف إيراني رمزي، مثل مبنى حكومي، ومستودعات أسلحة، وآبار النفط، وحتى السفن الإيرانية التي تُبْحر في البحر. أما الخيار الثالث، فيُقدّر المُحلّل العسكري أنه اعتماداً على تصريحات المُتحدّث باسم الجيش الإسرائيلي ووزير الأمن، يوآف غالانت، فإنّ إسرائيل لن تَتَسرّع في الرد، وستَدْرس بعناية درجة الردّ في الوقت الذي تَراه مناسباً، مُشيراً إلى أن التقديرات الإسرائيلية تُجمع على أن إيران تَهْدف إلى تدمير القواعد الجويّة وتَفوّق الجيش الإسرائيلي بالشرق الأوسط. وفي إطار انتقاد أداء نتنياهو خلال التهديدات الإيرانية والهجوم بالمُسيّرات الذي طال العمق الإسرائيلي، وصفت الكاتبة الإسرائيلية، كارميلا كوهين شلومي، نتنياهو بـ "الجبان"، كوْنه أهمل إسرائيل خلال الهجوم الإيراني، حيث تولّاها الرئيس الأميركي، جو بايدن، الذي أمْسَك بها وأعادها إلى رُشدها. "وبعد ساعات عصيبة، كان خلالها "مواطنو إسرائيل" يَبْحثون فيها عمّن يشرح لهم ما يجري"، كتبت كوهين في مقال لها بالموقع الإلكتروني "زمان يسرائيل": "ظَهَر على الشاشة رجلٌ مُسِنٌ، شاحبٌ ومُتعرّق، كان يَتجوّل قرب مقر وزارة الأمن في تل أبيب، وسأل "هل من لديه 7 شيكل (2 دولار)؟ أحْتاج للذهاب إلى مَخبأ أحد الأصدقاء." بهذه العبارات وصفت الكاتبة الإسرائيلية نتنياهو، ولَخّصت نهجه في إدارة شؤون "إسرائيل" خلال حالة الطوارئ، قائلة: "دَمّر كلّ شيء وما زال يحتفظ بمسودّة خطاب تنتهي بعبارة: معاً سننتصر، ليُوظّف الهجمات الإيرانية من أجل الالتفاف على الاحتجاجات والترويج أن إسرائيل في خطر." وبدا المُحلّل السياسي بن كسبيت، أكثر وضوحاً، حين كتب في مقال له في صحيفة "معاريف" قائلًا إن الهجوم الإيراني بالمُسيّرات والصواريخ على إسرائيل كان نقطة الحضيض التي وصلت إليها حكومة نتنياهو، التي تواصل تحقيق الفشل والإخفاقات حتى في مجال الأمن القومي. وبحسب وجهة نظر بن كسبيت، فإن إسرائيل تَعرّضت لإهانة علنية ثقيلة الوزن وغير مسبوقة من قِبل إيران، مُضيفاً: "لقد انْهار الردع الإسرائيلي الذي مَنَع إيران من مُهاجمتنا بشكل مباشر. كما انْهارت جهود الردع الدولية المشتركة. لقد كَسَر الإيرانيون حاجز الخوف. من الآن فصاعداً، إيران ضدّ إسرائيل، بشكل علني." وفي إشارة لملامح الردّ الذي قد يتأخّر وسيكون غير مُعلن، يقول بن كسبيت:

"كما كان متوقعاً، حاول بايدن إنزال نتنياهو من الشجرة، وتَجنّب ردّ فعل سريع وصارم. ويبدو أنه نجح في ذلك، على الأقل حتى الآن." ويعتقد المُحلّل أن حقيقة أن إسرائيل فتحت مجالها الجوي واستأنفت الرحلات في مطار بن غوريون، "تعني أن احتمال الردّ الإسرائيلي الفوري، الذي وعَد به المُقرّبون من نتنياهو أصبح ضئيلًا، وأنّ الحاجة التلقائية لتلقين الإيرانيين درساً قاسياً وتحميلهم ثمناً باهظاً، تقف الآن أمام الواقع الاستراتيجي المعقّد بالشرق الأوسط."

وفي هذا الإطار، قالت زعيمة حزب العمل المُعارض، ميراف ميخائيلي: " لقد أثْبتت الليلة الماضية مرّة أخرى مدى أهمية التحالف الاستراتيجي مع الولايات المتحدة.. والآن الأشخاص أنفسهم الذين حَرّضوا ضدّ الولايات المتحدة وضدّ المؤسسة الأمنية هم الذين يحاولون القول إن الوقت قد حان لهجوم حاسم، دون أن يُدركوا أنه لا يوجد شيء اسمه إسرائيل وحدها فى مواجهة هذه التهديدات."

وأضافت: "لا تَدَعوهم يَختبئون وراء الكلمات العدوانية ويقودوننا إلى حرب إقليمية رهيبة لا نهاية لها.. مثل هذه الحرب تَهْدف إلى خدمة رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، وليس إسرائيل... والآن هو الوقت المناسب لاتفاق إقليمي يوقف الحرب ويعيد الأسرى من غزة".

لكن عضو الكنيست المتطرّف إيتمار بن غفير، دعا لتوجيه ضربة ساحقة وفورية لإيران على خلفيّة هجومها الجوي؛ وقال: "لخَلْق الردع في الشرق الأوسط، يجب أن نردّ بجُنون". وأوضح أن "ردّ إسرائيل يجب ألّا يكون ضعيفاً، لأن مفاهيم الاحتواء والتناسب اخْتفت من العالم في 7 أكتوبر؛

وبعد حصول الردّ الإسرائيلي في أصفهان، قال زعيم المعارضة الإسرائيلية يائير لابيد:

"نشْكُر هذا الصباح أصدقاءنا في جميع أنحاء العالم، وعلى رأسهم الولايات المتحدة والرئيس جو بايدن، الذي وقَف إلى جانبنا وساعد في حماية شعب إسرائيل. العالم أقوى عندما نَقف مُتّحدين ضدّ تهديد الإرهاب والتطرف والنظام المُتعصّب في إيران". وقبل حصول الردّ الإسرائيلي، قال وزير الحرب الإسرائيلي يوآف غالانت:

"مع الولايات المتحدة وشركاء إضافيين تَمَكنّا من الدفاع عن أرض دولة إسرائيل.. الحَمْلة لم تنتهِ بعد.. يجب أن نبقى مُتأهّبين." وقال وزير المالية بتسلئيل سموتريتش: " علينا تَعَلّم الدروس، ومواصلة الاستيطان، واستعادة سيطرتنا الكاملة على قطاع غزة"؛ وأضاف: "بعد ليلة مهمّة، سُلوكنا الذي سيَعْقبها سيُشكّل الشرق الأوسط وأمن إسرائيل." وأعْرَب عن شكره "للجيش الإسرائيلي ونظام الدفاع الجوي على العمل الرائع من أجل دولة إسرائيل

وسلامتها وأمْنها". وتابع: "شكراً أيضاً لأصدقائنا في العالم (لم يُحدّدهم)؛ وعندما نكون في حرب بين الخير والشر، فإنّنا نعرف كيف نتكاتف." وأشار إلى أن "أنْظار الشرق الأوسط والعالم كله تَتّجه نحو دولة إسرائيل، وإذا دوّى صدى ردّنا (على إيران) في جميع أنحاء الشرق الأوسط للأجيال القادمة، فسوف ننتصر". واستَدْرك بالقول: "أما إذا تَردّدنا، فإننا سنُعرّض أنفسنا وأطفالنا لخطر وجودي فوري." وخَتَم وزير المالية الإسرائيلي حديثَه بالقول: "مصيرنا في أيدينا. وهذا هو الوقت المناسب لقيادة قادرة على استعادة الردع، ولديها الشجاعة لاستعادة الأمن لمواطني إسرائيل، ليس بالشعارات، بل بالأفعال." ونقلت صحيفة يديعوت احرونوت عن المُحلّل العسكري رون بن يشاي قوله إن إسرائيل "هَزَمت الليلة، مع الولايات المتحدة وحلفاء آخرين، العملية الجويّة الايرانية الواسعة؛ بل حصلت على فرصة لاستعادة شرعيتها السياسية على الساحة الدولية التي تلاشت طوال الحرب على غزة". وأضاف أن "الخطة الدفاعية للجيش الإسرائيلي هي المسؤولة بشكل أساسي عن فشل الهجوم الإيراني، والتي استندت إلى معلومات استخباراتية دقيقة وقدرات غير عادية لطَيّاري سلاح الجو وأنظمة الدفاع النشطة بجميع مُكوّناتها". وأوضح أن "طهران فَعَلت الليلة ما لم تَفْعله من قبل. وإذا لم تردّ إسرائيل بشكل مؤلم على الهجوم، فإن إيران وحلفاءها، والدول المُستعدّة لتطبيع علاقاتها مع إسرائيل، قد يعتبرون ذلك ضعفاً." ورأى المُحلّل أن "لإسرائيل أيضاً مصلحة في تهديد بقاء النظام في طهران من خلال كشف ضعفه؛ ولكن هنا يأتي تأثير العامل الثاني، الذي لا يقلّ أهمية، وربما أكثر أهمية." وأوضح أن هذا العامل هو "الطلب الحازم من قِبل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وكندا، أن تمتنع إسرائيل عن الردّ غير المُتناسب الذي يُمكن أن يُعرّض الاستقرار في المنطقة للخَطَر. فمثْل هذه الحرب الإقليمية ستَخْدم أيضاً رئيس حماس في غزة، يحيى السنوار". ولهذا السبب، وفق بن يشاي، فإن "لإسرائيل مصلحة في الاستجابة لطَلَب الغرب، والعودة إلى التركيز على الحرب في غزة وفي الشمال، وترْك التعامل الأساسي مع إيران لفرصة أخرى."

أما صحيفة "يسرائيل هيوم"، فنَقَلت عن مراسلها السياسي آرئيل كاهانا، تحليله أن "الحرب الفاشلة التي شَنّتها إيران الليلة ضدّ إسرائيل توفّر شرعية دولية نادرة للردّ العسكري." واعتبر كاهانا أن الوضع الراهن "يشكّل أيضاً فرصة عسكرية مؤاتية نسبياً لإسرائيل، حيث خسرت إيران أوراقاً استراتيجية منذ 7 أكتوبر: خطة توجيه ضربة مُفاجئة لإسرائيل، ومعظم القوّة العسكرية لحماس." وأشار إلى أن "الإجراء الأكثر أهمية يتلخّص في توجيه أقوى ضربة ممكنة للبرنامج النووي الإيراني". وعن رؤيته لكيفيّة تعاطي إيران مع ذلك، قال المُراسل إن "الردّ المضاد

الذي تمتلكه إيران وقتها هو تفعيل حزب الله." ونَقَلت صحيفة "هآرتس" العبرية، من جهتها، عن المُحلّل العسكري عاموس هرئيل، أن "الرئيس الأمريكي جو بايدن يُمارس ضغوطاً شديدة على رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو لتَجنّب غارة جويّة في إيران والاكتفاء بالنجاح الدفاعي المُبهر، وأهمه إحباط خطّة تدمير قاعدة نفاطيم الجويّة بالكامل". وأضاف "هرئيل": "إذا لم يَسْتجب نتنياهو لطلب الرئيس، فسيُطلِق حزب الله العنان وينضم إلى الحرب، وهو السيناريو الذي يسعى إليه يحيى السنوار منذ 7 أكتوبر". وأكّد أن "التقارير التي تُفيد بأن الإيرانيين يَعْملون سراً على تطوير برنامجهم النووي تزايدت، وبوسعنا أن نفترض بكل يقين أن بايدن يشتبه في أن نتنياهو يُحاول جرّ الولايات المتحدة إلى هجوم ضدّ إيران؛ وبالتالي تحقيق حلمه الذي طالما راوده بأن الأمريكيين سوف يُدمّرون المشروع النووي نيابة عنّا". وأوضح أن "الرئيس بايدن سيقوم بعمل عظيم حتى لا يتحقّق هذا السيناريو".

**5 – الخيانة العربية:**

كَشَف الصحافي البريطاني ديفيد هيرست، عبْر موقع ميديليست أي، عن أنّ الأردن والسعودية ومصر شاركوا الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا في التصدّي للهجوم الإيراني الصاروخي على كيان الاحتلال. كما أضافت صحيفة "وول ستريت جورنال" الأميركية اسم الإمارات أيضاً إلى هذه الدول، ضمن التحالف المُشترك للتصدّي للهجوم على الكيان. وقالت الصحيفة إنه "بغضّ النظر عن مدى كره دول المنطقة لنتنياهو، فإنها تكره إيران أكثر"، موضِحة أن السعودية والإمارات ساعدتا تل أبيب في التصدّي للهجوم الإيراني، من خلال فتح مجالهما الجويّ أمام الطائرات الإسرائيلية والأمريكية. ولَفَتت الصحيفة إلى أن إيران أطْلعت جيرانها في دول الخليج على هيكل وتوقيت الهجوم قبل يومين من تنفيذه، بما فيها السعودية، لكي يَتمكّنوا من تأمين مجالهم الجوّي؛ لكن الرياض نَقَلت المعلومات إلى واشنطن، وكانت بمثابة إنذار مُسبق حاسم لإسرائيل والولايات المتحدة. وذَكَرت أنه منذ لحظة إطلاق الطائرات بدون طيّار والصواريخ من إيران، رَصَدتها الرادارات في دول الخليج، المُرتبطة بمركز عمليات القيادة المركزية الموجود في قطر، ونَقَلت المعلومات إلى الطائرات المُقاتلة التي كانت على أهبّة الاستعداد للاعتراض. وتابعت: "عندما وصلت الطائرات الإيرانية بدون طيّار إلى المنطقة، تم إسقاطها في الغالب من قِبل إسرائيل والولايات المتحدة، وبأعداد أقل من قِبل بريطانيا وفرنسا والأردن." وأشارت الصحيفة إلى أن الرياض وأبوظبي تَبادلتا معلومات استخباراتية حيوية، وصلت للأميركيين، بشأن الهجوم، رغم استيائهما من

تل أبيب، بسبب حَرْبها على قطاع غزة وقَتْلها المدنيين. وذَكَرت أن الأردن وشركاء آخرين ساعدوا تل أبيب، عملياً، في صدّ الصواريخ والطائرات المُسيّرة الإيرانية.

في المقابل، وجّه ناشطون عرب وأجانب انتقادات لاذعة للموقف الأردني الرسمي تجاه الهجوم الإيراني الأوّل من نوعه على الاحتلال الإسرائيلي. وقال ناشطون إن مشاركة الأردن بشكل علني في صدّ الهجوم الإيراني، عبر إسقاط صواريخ ومُسيّرات في أجواء العاصمة عَمّان ومُحافظات أخرى، "أمْرٌ مثيرٌ للاستفزاز." ورأى هؤلاء الناشطون أن الأردن كان عليه أن يبقى على الحياد على أقل تقدير، وألّا يُشارك في خندق واحد مع الاحتلال الإسرائيلي المُجرم في صدّ الهجمات التي لم تُشكّل أي خطر على أراضيه. ولَفَتوا إلى أن مشاركة الأردن جاءت بنتيجة عكسية فورية على أمن المملكة، إذ تَسبّب اعتراض بعض الصواريخ الإيرانية في سقوط شظايا ضخمة فوق مناطق سكنيّة بالعاصمة عمّان. وتُفيد المعلومات المتوافرة من أكثر من جهة، بأن أسلحة الجو، الإسرائيلي والأميركي والفرنسي والبريطاني، هي التي تَولّت عمليات الاعتراض في الأجواء الأردنية، فيما لم يُسمح للطائرات الأردنية بالمشاركة في الأصل. أما البيانات الرسمية الأردنية حول الحياد بين الطرفين، فهي موجّهة فقط إلى الداخل الأردني؛ إذ إنّ صُنّاع القرار في المنطقة مُطّلعون على الدور الأردني المُنخرط بالكامل مع الأنشطة الأميركية التي تصبّ في خدمة "إسرائيل"، عِلماً أن الطائرات الإسرائيلية تستخدم بشكل دائم الأجواء الأردنية أثناء قَصْفها مواقع تابعة لمحور المقاومة في شرق سوريا وغرب العراق.

على المَقْلب الإسرائيلي، احْتفت وسائل إعلام إسرائيلية عديدة بموقف الأردن الرسمي "الشجاع والاستثنائي" من الهجوم. وقالت إنه برغم التوتّر الذي يسود علاقة "تل أبيب" بعَمّان منذ سنوات، بسبب انتهاكات الاحتلال المُتكرّرة في المسجد الأقصى، والعدوان على غزة، والعمل على ترحيل آلاف الفلسطينيين من الضفة الغربية إلى الأردن؛ إلّا أن ما جرى يُثْبت أن العلاقة بين القيادتين عميقة ومتينة. ورأى مُحلّلون إسرائيليون أن الأردن الذي أغلق أجواءه، وأعْلَن بشكل صريح عن عزْمه على التصدّي لأيّ طائرة مُسيّرة أو صاروخ يَعْبر أجواءه نحو فلسطين المحتلة، يُثْبت مرّة أخرى أنه حليف استراتيجي ذليل لـ "تل أبيب". وقالت القناة 12 العبرية، إن "خطوة الأردن بالدفاع عن إسرائيل والتورّط مع إيران مُفاجئة"؛ وتابعت أنه: "ظاهرياً، العلاقات باردة. لكن الهجوم الإيراني كَشَف التحالف الحقيقي، حيث دافعت الطائرات الأردنية المُقاتلة عن إسرائيل". وكانت صحيفة "يديعوت أحرونوت" قالت إن الأردن، وبرغم إغلاق أجوائه، إلّا أنه سَمَح للاحتلال باستخدام الأجواء الأردنية. وقال

ناشطون إن هذه هي المرّة الأولى التي تقوم فيها دولة عربية بتقديم دعم عسكري مُباشر للاحتلال الإسرائيلي بتَصَدّيها للهجوم القائم ضدّه. وقالت الصحفية الإسرائيلية، سمدار بيري، في صحيفة يديعوت أحرونوت: إنه بينما اخْتفى الملك الأردني بالتزامن مع الهجوم الإيراني، ولم يظهر للتعليق على ما يجري، فإنه كان يعمل في الخفاء ومن وراء الكواليس، ويأمُر سلاح جوّه للتصدّي للهجوم الإيراني. وأضافت "بيري"، في تقرير لها في الصحيفة، إنه حتى قبل الهجوم الإيراني ومرور الطائرات في أجواء الأردن، أوضَح الملك عبد الله في المحادثات، أنه لن يسمح للإيرانيين بالعمل في الأراضي الأردنية كما يفعلون في العراق وسوريا ولبنان. لكن فجأة، تمّ الكشف عن سرّ التعاون الوثيق بين قوات الأمن الأردنية ونظيرتها الإسرائيلية، إذ سَمَحت المملكة للطائرات الإسرائيلية بحُريّة العمل الكاملة في سماء الأردن، فَهاجَمت الطائرات الإيرانية بدون طيّار، وبدا للحظة أن التعاون العلني والسري في عهد إسحاق رابين والملك حسين يعود مرّة أخرى إلى عهد عبد الله وبنيامين نتنياهو"، وفق التقرير. وقالت "بيري" إنّ "طائرات سلاح الجو الإسرائيلي ومعدّات إلكترونية مُتطوّرة نَصَبت كميناً للطائرات بدون طيّار الإيرانية في سماء الأردن؛ وفي الوقت نفسه، خرجت طائرات أردنية من قواعدها لإطلاق النار على الطائرات بدون طيّار الإيرانية التي شَقّت طريقها إلى الأراضي الإسرائيلية ." وذكرت "بيري" أن "المعلومات المحدودة تؤكّد أن معظم الهجمات لم تَحْدث داخل الأراضي الإسرائيلية. وقد أعلن الأردن إغْلاق مجاله الجوّي، وأغْلق مطار عَمّان، بالضبط خلال الساعات التي تمّ فيها تعليق الرحلات الجويّة في إسرائيل." وأضافت "بيري"، أنه "ليس هناك جدل في أن موقف الأردن الواضح إلى جانب إسرائيل ضدّ إيران سيُعتبر مفاجأة كبيرة في أيّ قاموس دبلوماسي. وبرغم هذه المفاجأة، فإنه من الصعب التصديق أن هناك تغييراً عميقاً مُتوقّعاً في العلاقة بين القصر المَلَكي في عَمّان ومكتب رئيس الوزراء في القدس. الفجوات لا تزال كبيرة، والعلاقات مُتوتّرة."

من جانب آخر، اعتبر المُحلّل العسكري في موقع "واينت" الإلكتروني، رون بن يشاي، أن "الهجوم الإيراني فشل بعد أن أعدّ الأمريكيون والبريطانيون والفرنسيون، وعلى ما يبدو سلاح الجو الأردني أيضاً، حزام رصْد مُسبق لمئات الصواريخ الباليستية والطائرات المُسيّرة وصواريخ كروز التي أطْلقتها إيران. وبنتيجة ذلك، تَمَكّنت منظومة الدفاع الجوي الإسرائيلي – الغربي من تركيز جهودها على اعتراضها قَبْل وصولها إلى الأراضي الإسرائيلية." واعتبر بن يشاي أن "إنجازاً آخر لإسرائيل يَكْمن في حقيقة أن الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والأردن أيضاً،

لم يرتدِعوا من تهديدات إيران باستهدافهم، وإنما حاربوا بشكل فعّال، من خلال تقاسم عمل دقيق ومُخطّط له مُسبقاً إلى جانب إسرائيل؛ وبذلك تحقّق حلم إسرائيل الاستراتيجي بهندسة الدفاع الإقليمي أمام إيران ."

من ناحية أخرى، كان البلاط الأردني قد أعْلن، بأسلوب خبيث ودنيء ومُخادع، أنه "جرى التعامل مع بعض الأجسام الطائرة التي دخلت إلى أجوائنا والتصدّي لها للحيلولة دون تَعْريضها لسلامة مواطنينا والمناطق السكنيّة والمأهولة للخطر." في حين سقطت شظايا كثيرة فوق عَمّان، وعَرّضت حياة المواطنين الأردنيين للخطر بسبب تدمير سلاح الجو الأردني نفسه بعض المُسيّرات والصواريخ الإيرانية.

**6 – مُعادلات جديدة:**

يشير المُحلّلون الاستراتيجيون إلى أنّ الهجوم الإيراني غير المسبوق على "إسرائيل" يؤسّس بالضرورة لمعادلة جديدة في المنطقة، ولم يكن مُجرّد تسجيل ردّ اعتبار من طرف طهران، أو ردع لإسرائيل عن التمادي في هجماتها واعتداءاتها على مصالحها؛ فهو بحسابات الصراع مع "إسرائيل" منذ عملية "طوفان الأقصى" يُعدّ إسفيناً جديداً في نظرية الأمن الإسرائيلية بمختلف حيثيّاتها. فقد أدّى الردّ الإيراني المُباشر – بقَطْع النظر عن تأثيراته العسكرية – إلى إضافة تهديد أقوى لعُمق "إسرائيل" الجغرافي والمجتمعي. وبحسابات القوّة العسكرية الإيرانية، قد يكون أي هجوم آخر أكثر قوّة وأكثر إيلاماً لإسرائيل. وفي معادلة ما بعد "طوفان الأقصى"، مع إضافة الردّ الإيراني، تَحوّلت "إسرائيل" إلى ساحة حرب بجبهات مُتعدّدة، بكلّ ما يعنيه ذلك من ضغوط على الجبهة الداخلية، التي لم تعد تَنْعم بالاسترخاء الأمني والنفسي، ولم تعد تؤمن بمقولة "الجيش الذي لا يُقهر"، و"الجيش الذي يَحمي الشعب"، ممّا يضرب بعنف أسس ومُعطيات نظرية الأمن القومي ويُفاقم النزوع إلى "الهروب الكبير."

لا شك أنّ الحروب الخاطفة والمحدودة لم تَعُد سلاحاً إسرائيلياً مُمْكناً ولا رادعاً، إذ دخلت "إسرائيل" تقريباً في حرب شاملة، ممّا يُفاقم خسائرها الاقتصادية، حيث بلغت تكلفة اعتراض الهجوم الإيراني فحسب نحو 1.3 مليار دولار، وفق صحيفة يديعوت أحرونوت؛ تُضاف إلى خسائر قُدّرت بأكثر من 70 مليار دولار منذ "طوفان الأقصى." كما أكّدت الضربة الإيرانية، وما قَبْلها، أن المشروع الإسرائيلي الكبير ما زال رهينة حماية القوى الكبرى التي رَعَتْه سياسياً وأمنياً وعسكرياً، خصوصاً مع تَدَخّل الولايات المتحدة وبريطانيا في إسقاط معظم الصواريخ والمُسيّرات التي أطْلقتها إيران.

في السياق، يَطْرح العديد من المُحلّلين الإسرائيليين مدى استفادة رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، من الضربة الإيرانية في هذا التوقيت لترميم صورته الداخلية والخارجية، خاصة أنه كان دائم الرّبْط بين حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وإيران، وتصوير الحركة على أنها إحدى أذرعها في المنطقة. ويُرجّح مراقبون أن يعود نتنياهو، في المرحلة المُقبلة، إلى أسلوبه المعتاد من المُراوغة والابتزاز، من خلال تسويقه سرديّة تصوير "إسرائيل" بعد الهجوم الإيراني، على أنها "الضحيّة" وليست الجلّاد، لاكتساب شرعية جديدة داخل "إسرائيل"، واسْترجاع التعاطف خصوصاً من الإدارة الأميركية. لكن هؤلاء يرون أنه فَقَدَ مصداقيته نهائياً بعد "الهزيمة الإستراتيجية" في غزة. كما أن صحيفة نيويورك تايمز الأميركية أشارت إلى أن الرئيس جو بايدن فَقَدَ بدوره ثقته بنتنياهو، وعبّر سراً عن قَلَقِه من محاولة الأخير "جرّ الولايات المتحدة، عميقاً، في صراع واسع." وبالتالي، يَستخْلص المُحلّلون بأن رداً إسرائيلياً على الهجوم الإيراني سيبقى مَحكوماً أساساً بالموقف الأميركي وبحسابات واشنطن والرئيس بايدن، التي تَتَراوح بين حساسية الوضع في المنطقة وبين حساباته الانتخابية. وأوْرَد موقع أكسيوس عن مصادر رسمية أميركية أن الرئيس بايدن حَذّر نتنياهو، خلال محادثة هاتفية، من أنّ الولايات المتحدة لن تُشارك إسرائيل في هجوم مُضاد على إيران. وبينما تتواصل الولايات المتحدة بشكل مستمر مع إيران – عبْر مكتب رعاية المصالح في السفارة السويسرية– تؤكّد أن عدم احتواء الصراع قد يؤدّي في النهاية إلى وضع كارثي في المنطقة. وفي هذا المجال، أشارت صحيفة أوبزرفر البريطانية إلى أن "مصير الشرق الأوسط مُعلّقٌ في الهواء، في الوقت الذي تُفكّر فيه إسرائيل بما ستقوم به من ردٍ على الهجوم الإيراني."

كما رَسَمت صحيفة تلغراف، بدورها، احتمالات للرد الإسرائيلي على الهجمات الإيرانية، مُشيرة إلى أنه قد يشمل شنّ غارات جويّة على قواعد عسكرية أو مقار حكومية، أو ضَرَبات على مَقرّات الحرس الثوري الإيراني حيث وجِدت "وعندها ربما يوقف الجانبان الأعمال العدائية، مع شعور كل طرف بأنه أخَذ بثأره." وبينما يدعو مسؤولون إسرائيليون أيضاً إلى شنّ "هجوم كبير" على إيران قد يشمل البرنامج النووي، يرى آخرون أن على إسرائيل أن تعدّ ما حدث ليل السبت الماضي انتصاراً بعد إسقاط جميع الصواريخ والمُسيّرات الإيرانية تقريباً دون أن يكون لها تأثير يُذكر.

في المُحصّلة، وفي ضوء المواقف الدولية وعدم تحمّس الولايات المتحدة للتصعيد، تجد "إسرائيل" نفسها في مأزق "ابتلاع" الضربة، أو تأجيل الردّ عليها، أو التكيّف معها بما يتلاءم مع الوضع القائم، تحاشياً لحرب كبرى في

المنطقة لن تكون هي المستفيدة منها، ممّا يُبْطل تصريحاً سابقاً لوزير الدفاع الإسرائيلي، يوآف غالانت، عندما قال خلال العدوان على غزة إن "هذه حرب ستنتهي في طهران".

**7 – خاتمة:**

شَنّت إيران أوّل هجوم عسكري مُباشر في تاريخها على "إسرائيل" يوم 13 أبريل/نيسان 2024، وأطْلقت عليه تسمية "الوعد الصادق". وقد أعْلنت عبْر تلفزيونها الرسمي إطلاق مُسيّرات وصواريخ باليستية من أراضيها باتجاه "إسرائيل"؛ وقالت إنه ردٌ على استهداف "إسرائيل" للقنصلية الإيرانية في دمشق، وقَتْل عدد من القادة العسكريين، في الأوّل من أبريل/نيسان 2024. وعلى ضوء ذلك، كثُرت التكهّنات قبل الضربة الايرانية حول حجمها ومكانها؛ إذ كان يُمكن لإيران أن تردّ بشكل متماثل ضدّ مصالح إسرائيلية في الخارج، أو أهداف بحرية إسرائيلية، أو مواقع تُعدّ خارج السيادة الإسرائيلية المباشرة. لكنّها اختارت الردّ المباشر في رسائل مباشرة أيضاً. وقد أدْركت إيران أن ضربة القنصلية في دمشق كانت فرصة للردّ المباشر وتغيير قواعد الاشتباك بوجه الهجمات والانتهاكات الإسرائيلية المُتكرّرة منذ سنوات، واعتبرت أن تأخيرها إلى أجلٍ غير مُسمّى أو عدم الرد مُطلقاً، إنّما يحْمل مخاطر استراتيجية، ليس أقلّها "فقدان هيبتها" كقوّة إقليمية عظمى، ومَنْح "إسرائيل" الضوء الأخضر للتمادي في جرائمها، وخسارة الفرصة التي قد لا تتكرّر؛ كما أن حساباتها الآنيّة حصلت بناءً على الوضع القائم في المنطقة. وعليه، رَجّحت إيران أن تكون الضربة أقلّ تكلفة سياسياً وعسكرياً وإستراتيجياً، من عدم الرد. وبالتالي، كان الردّ مبنياً على استبعاد مَنْطق "ابتلاع" الضربة الإسرائيلية وعدم مواصلة سياسة "الصبر الاستراتيجي". لكن الردّ بُنِي أيضاً على عوامل وحسابات تكتيكية واستراتيجية، من أهمّها:

– جاء الردّ الإيراني على "إسرائيل" في خضم الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة؛ وهو بالتالي جزء من الصراع مع "إسرائيل"، مما يُعدّ انخراطاً مُباشراً في الدفاع عن القضية الفلسطينية.

– الردّ الإيراني حَظِيَ بترحيب ودعم شعبي إيراني وعربي وإسلامي، في ظل المجازر الوحشية التي ترتكبها "إسرائيل" في غزة.

– إنّ عدم الردّ المُباشر – خاصة في ظلّ التهديدات الإيرانية السابقة – سيَجْعل إيران في مَرْمى الانتقادات الشعبية ويزيد الضغوط عليها.

– الضربة الإسرائيلية، واغتيال قادة إيرانيين بارزين في مقرّ القنصلية، كان هجوماً إسرائيلياً مُباشراً على إيران، وفي علاقة بـ "محور المقاومة"؛ وبالتالي هو يستوجب رداً مُباشراً، وليس عن طريق "الوكلاء."

وقد أدْرَكت إيران أن إدارة الحرب مع "إسرائيل" عن طريق "محور المقاومة" لم تعُد مُقْنِعة لأطراف عدّة، خاصة وأن حلفاءها في سوريا واليمن ولبنان يَتلقّون ضربات مستمرة من الولايات المتحدة و"إسرائيل".

– تُعَدّ "إسرائيل" الآن في أشدّ لحظات ضعفها، عطفاً على مُجريات الحرب على غزة والجبهة الداخلية المُفكّكة، حيث لم يكن هناك إجماع عسكري أو سياسي إسرائيلي على ضربة القنصلية في دمشق، التي سُجّلت لدى العديد من الأوساط كسَقْطة أخرى لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو.

– وَضَعت إيران في حساباتها الاستراتيجية أن توجيه ضربة إلى "إسرائيل" في الوقت الحالي سيكون في وقتٍ يُعاني فيه نتنياهو من أسوأ وضع له منذ 6 أشهر؛ وبالتالي ستكون ضربة موجعة له أيضاً.

– هناك لحظة شكوك عميقة بين إدارة الرئيس الأميركي جو بايدن ورئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو؛ ولم تَكُن الولايات المتحدة راضية عن ضربة القنصلية في دمشق، وعن تَمادي تل أبيب في الحرب على قطاع غزة، وتصرّفاتها العشوائية بشكل عام.

– رَجّحت إيران أنّ الولايات المتحدة ستَلْجم "إسرائيل" عن أي ردٍ غير محسوب على الضربة الإيرانية، خَوْفاً من الانزلاق إلى حرب إقليمية لا تريدها طهران ولا واشنطن، وكذلك الدول الحليفة لإسرائيل؛ وأرْفقت ذلك بتحذيرات للولايات المتحدة في التمادي في دعم "إسرائيل".

– رَجّحت إيران أن يسود "مَنْطق واحدة بواحدة" بينها وبين "إسرائيل"، على اعتبار أن الوضع الدولي لا يَحْتمل حرباً شاملة أخرى في منطقة مُعقّدة، تُضاف إلى الحرب في أوكرانيا وفي قطاع غزة.

– رَجّحت إيران أن أيّ ردّ إسرائيلي –إنْ حصل– سيكون بدوره مَحسوباً ومُوجّهاً، ويُمكن التعامل معه واحتواؤه.

– أدْرَكت إيران أن تَدَخّلها المُباشر سيَخْلق معادلة ردع جديدة، مع دخول جبهة أخرى كبيرة ووازنة على ساحة الصراع مع "إسرائيل"، الأمر الذي ستكون له حساباته المستقبلية الدقيقة في الغرب.